



فاعلية الرسم التحضيري (الاسكتش) في تنمية التفكير الإبداعي وحل مشكلات التكوين في الفن التشكيلي الواقعي

خالد المبروك عبيد الورفلي

المعهد العالي لتقنيات الفنون طرابلس - ليبيا

khaled.alwerfalli.art@gmail.com

The Effectiveness of Preparatory Drawing (Sketching) in Developing Creative Thinking and Solving Compositional Problems in Realistic Fine Art

Khaled Al-Mabrouk Obeid Al-Warfali

Higher Institute of Art Technologies, Tripoli – Libya

تاريخ الاستلام: 2026/08/30 تاريخ المراجعة: 2026/09/05 تاريخ القبول: 2026/09/20 تاريخ النشر: 2026/09/26

المستخلص باللغة العربية:

هدفت هذه الدراسة الاستقصائية التحليلية إلى الكشف عن فاعلية الرسم التحضيري (الاسكتش) وأثره في تنمية التفكير الإبداعي وحل مشكلات بناء التكوين في الفن التشكيلي الواقعي. اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي لمقاربة مفاهيم التجريب الفكري والتقني، الحساسية للمشكلات، والطلاقة والأصالة في إنتاج الأفكار التشكيلية. وتكونت عينة الدراسة من نماذج قصدية لدراسات تكوينية مقارنة لسنة من كبار رواد الفن العالمي: مايكل أنجلو، جان أنطوان واتو، إدغار ديغا، إيليا ريبين، ليوناردو دا فينشي، وجون سينغر سارغنت.

وتوصلت الدراسة إلى جملة من النتائج؛ أبرزها: أن الرسم التحضيري يمثل أداة تفكير بصري استبصاري تتجاوز مجرد التسجيل الآلي السريع، حيث يعمل كمنظومة تفاعلية للتقويم الذاتي وإعادة تنظيم عناصر التكوين عبر استراتيجيات الهدم والبناء والتعديل المستمر لقيم الخط، الظل، الضوء، والمنظور. كما أثبتت النتائج أن الاسكتش يسهم بصورة مباشرة في صقل الجانب الوجداني والعاطفي للفنان، ويمنحه قدرة فائقة على النفاذ إلى عمق المضمون الإنساني للأشكال، مما يرفع من جودة الإخراج النهائي للعمل التكويني ويجنبه التوقف والجمود الإبداعي. واختتمت الورقة بعدد من التوصيات والمقترحات الداعية إلى تعزيز ممارسة الرسم التحضيري كمساق منهجي مستقل في معاهد وكليات الفنون التشكيلية. **الكلمات المفتاحية:** الرسم التحضيري، الاسكتش، التفكير الإبداعي، التكوين الفني، الفن التشكيلي الواقعي، حل المشكلات.

Abstract:

This analytical study investigates the efficacy of preparatory drawing (the sketch) in enhancing creative thinking and resolving compositional problems within realistic plastic art. The research utilizes a descriptive-analytical methodology to examine visual experimentation, problem sensitivity, fluency, and originality in visual ideation. The purposive sample comprises preparatory drawings and comparative compositional studies by six master artists: Michelangelo, Jean-Antoine Watteau, Edgar Degas, Ilya Repin, Leonardo da Vinci, and John Singer Sargent. The findings reveal that preparatory sketching operates as a cognitive visual thinking system rather than a mere mechanical preliminary recording. It functions as a dynamic platform for self-assessment, enabling continuous compositional restructuring through deconstruction, reconstruction, and the refinement of line, chiaroscuro, and perspective values. Furthermore, the study demonstrates that sketching systematically nurtures the artist's emotional and affective faculties, allowing profound

penetration into the human and expressive essence of subject forms. This process mitigates creative fatigue and ensures superior structural harmony in final executions. The study concludes with practical recommendations emphasizing the formal integration of preparatory drawing methodologies into higher fine arts curricula. Keywords: Preparatory Drawing, Sketch, Creative Thinking, Artistic Composition, Realistic Fine Art, Problem Solving.

الفصل الأول: الإطار المنهجي العام للبحث

مقدمة البحث وتوطئته: إن العمل الفني التشكيلي الواقعي ليس مجرد انعكاس فوتوغرافي آلي للواقع، بل هو إعادة صياغة واعية ومدروسة للمفردات البصرية. عبر تاريخ الفن، وتحديدًا منذ انطلاق شرارة عصر النهضة الأوروبية، برزت أهمية التجارب الأولية والمسودات التمهيدية كركيزة أساسية في بناء اللوحة الكلاسيكية والواقعية. لم يكن التحول نحو المدرسة الواقعية مجرد تغيير في أسلوب التلوين، بل كان ثورة إدراكية تتطلب فهماً عميقاً لقوانين الطبيعة، والتشريح البشري، والميكانيكا الحركية، وقوانين المنظور الخطي والهوائي. في خضم هذه التحديات، لم يعد بمقدور الفنان الارتجال المباشر على مسطح اللوحة، بل ظهرت الحاجة الماسة إلى وسيط تجريبي يسمح بالتفكير البصري قبل التنفيذ المادي، وهذا الوسيط هو الرسم التحضيري أو الاسكتش. يؤكد أرنهايم في دراساته حول سيكولوجية الفن (2004، ص 42) أن الإدراك البصري ليس استقبالياً سلبياً للصور، بل هو عملية عقلية نشطة تقوم على الانتقاء والتحليل، وإعادة البناء الهيكلي للشكل المرئي. فالرسم حين يواجه مشهداً معقداً، يقوم عقله بعملية تجريد إرادية؛ يستبعد من خلالها التفاصيل العابرة والزخارف السطحية، ليركز على الهيكل الهندسي المتين الذي يقوم عليه التكوين. هذه العملية الذهنية المعقدة لا يمكن أن تتم بكفاءة دون أداة مساعدة تترجم هذا النشاط العقلي إلى واقع ملموس، وهنا يبرز دفتر الاسكتش كساحة للمحاكمة العقلية والتجريب، ومساحة حرة لاكتشاف ثغرات التكوين قبل الانتقال إلى مسطح العمل النهائي. إن الممارسة التشكيلية الواقعية تفرض قيوداً صارمة تتعلق بضبط نسب التشريح، وتحقيق المنظور، وتوزيع الكتل المترنة، وخلق تباينات دقيقة بين الظل والنور (الجلاء والقمة). وكما يشير سميث (2011، ص 18) فإن المسودات الأولية تمثل المختبر الحقيقي الذي تتجرد فيه الأشكال من زخرفها السطحي لتكشف عن هيكلها الهندسي الأساسي، مما يتيح للرسم تلافي العيوب الإنشائية في وقت مبكر. فاللوحة الزيتية، بطبيعتها المادية وتكلفتها العالية وصعوبة تعديل طبقاتها اللونية بعد جفافها، تفرض ضغطاً نفسياً على المبدع؛ بينما يمنح الرسم التحضيري بخاماته البسيطة حرية مطلقة لارتكاب الأخطاء وتصحيحها، مما يعزز من مرونة التفكير الإبداعي ويزيد من مخزون الفنان الاسترجاعي الذي ييسر له التغلب على عقبات التنفيذ الواقعي. من هذا المنطلق، تأتي هذه الدراسة لتبحث في الفاعلية العميقة لهذا التخطيط الأولي، وتأصيل دوره منهجياً وعملياً في تنمية الإبداع وحل المشكلات البنائية. تحديد مشكلة البحث: تتجسد مشكلة البحث في الفجوة المنهجية والتطبيقية الملاحظة لدى العديد من ممارسي الفن التشكيلي، ولا سيما فئة الطلاب في كليات ومعاهد الفنون، والمتتمثلة في ظاهرة الاستعجال الإنجازي. حيث يميل الكثيرون إلى التسرع بالانتقال المباشر إلى المعالجات اللونية والخطوات النهائية للوحة الواقعية دون المرور الكافي والناضج بمرحلة التجريب البصري والرسوم التحضيرية. هذا القصور المنهجي، وتجاوز مرحلة التفكير بالرسم، يؤدي حتماً إلى سلسلة من الإخفاقات الهيكلية؛ فتظهر اللوحات بخلل واضح في البناء الهيكلي للتكوين، أو بضعف وتشويه في نسب الأشكال التشريحية، أو بتسطيح بصري يفقد اللوحة عمقها المنظوري، ناهيك عن تجميد الحالة الانفعالية للوحة نتيجة ارتباك الفنان وخوفه المستمر من ارتكاب الأخطاء على القماش النهائي. وعليه، تتبلور المشكلة البحثية في التساؤل الرئيس الآتي: ما مدى فاعلية الرسم التحضيري (الاسكتش) في تنمية التفكير الإبداعي وحل المشكلات البنائية للتكوين في الفن التشكيلي الواقعي؟ ويتفرع عن هذا التساؤل المركزي مجموعة من التساؤلات الفرعية الدقيقة:

1. ما هي الآليات الإدراكية والتقنية التي يوفرها الرسم التحضيري لاكتشاف ومعالجة الأخطاء المنظورية والتشريحية في مراحل البناء الأولى؟
2. كيف يساهم التخطيط التمهيدي المتكرر والمكثف في كسر حالة الجمود الإبداعي وتحفيز مهارات الطلاقة والمرونة في صياغة الأفكار الفنية؟
3. ما طبيعة الأثر الوجداني والانفعالي الذي يتركه التدوين البصري المستمر عبر الاسكتش على أصالة العمل الفني النهائي وحيويته التعبيرية؟

أهداف البحث: يسعى هذا البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف العلمية والتطبيقية، تتلخص في الآتي:

1. إبراز الدور البنائي والهيكل الحاسم للرسم التحضيري في ضبط العلاقات الهندسية، وتوزيع الكتل والفراغات (المساحات الإيجابية والسلبية) داخل فضاء اللوحة بشكل علمي ودقيق.
2. توثيق الدور المعرفي للاسكتش كأداة ديناميكية وتفاعلية لحل المشكلات الطارئة التي تواجه الفنان أثناء معالجة المنظور، وتوزيع الإضاءة والظلال، ودراسة حركة الأشكال في الفراغ.
3. تبيان كيف يرفع التجريب التمهيدي المستمر من معدلات الأصالة الفنية والصدق التعبيري في الأعمال الواقعية، بحيث يتجاوز العمل الفني حدود النقل الفوتوغرافي الأصم.
4. توثيق العلاقة المنهجية والارتباط الشرطي بين جودة وكثافة التجريب البصري الأولي (الاسكتشات) وبين الرصانة وجودة الإخراج الفني النهائي للوحة التشكيلية.

أهمية البحث: تكتسب هذه الدراسة أهميتها النظرية والعملية من خلال النقاط الآتية: الأهمية الأكاديمية النظرية: يسلم هذا البحث الضوء على منطقة حيوية ومفصلية في العملية الإبداعية التشكيلية، وهي مرحلة التفكير بالرسم التي تسبق الإنتاج الفعلي، والتي غالباً ما يتم تهميشها في الدراسات النظرية التي تركز على المنتج النهائي بدلاً من عملية التكوين ذاتها. الأهمية التطبيقية التربوية: يقدم البحث تحليلاً تطبيقياً موثقاً لآليات عمل كبار الفنانين العالميين، مما يشكل مرجعية أكاديمية وعملية تفيد طلاب شعبة الرسم والتصوير في تلافي الأخطاء الإنشائية، وبناء الثقة التقنية، وتصحيح مساراتهم التعليمية في محترفات الفنون. الأهمية التوثيقية الجمالية: يساهم البحث في ترسيخ ثقافة الاهتمام بدفتر الرسم ليس كمجرد أداة مساعدة مؤقتة، بل كوثيقة فنية مستقلة تعكس شخصية الفنان، توثق ذاكرته البصرية وانفعالاته المباشرة، وتبرز بوضوح تطور قدراته الإدراكية والتقنية عبر الزمن.

فروض البحث: في ضوء المشكلة المطروحة والأهداف المحددة، يقوم البحث على الفرضيات الآتية:

1. يوجد أثر إيجابي دال إحصائياً وعملياً للرسم التحضيري في رفع مستوى الدقة البنائية والتشريحية في التكوين الواقعي، حيث يقي الفنان بشكل مباشر من أخطاء القياس المكلفة وتشويه النسب.
2. يمثل الرسم التحضيري وسيطاً معرفياً وفكرياً فاعلاً في توليد حلول تكوينية بديلة، وتجاوز عثرات التنفيذ الأولي، مما يعزز بصورة ملحوظة قدرات التفكير الإبداعي لدى الفنان التشكيلي ويقضي على رهبة البدايات أمام المسطح الأبيض.

حدود الدراسة: تتحدد أطر هذه الدراسة من خلال الموجهات الآتية: الحدود الموضوعية: تقتصر الدراسة موضوعياً على تقييم وتحليل الرسم التحضيري (الاسكتش) واستكشاف فاعليته في تنمية التفكير الإبداعي وحل مشكلات التكوين حصرياً داخل إطار الفن التشكيلي الواقعي. الحدود الزمانية والمكانية: نظراً لامتداد الممارسة الفنية الواقعية، تتحدد العينات التحليلية بنماذج مختارة من تاريخ الفن الأوروبي تمثل الذروة التقنية والفكرية في فترات: عصر النهضة العالي، فن الروكوكو، المدرسة التأثيرية، والواقعية النقدية الروسية في القرن التاسع عشر.

مصطلحات الدراسة: الرسم التحضيري (الاسكتش): هو التخطيط الأولي السريع والمركز، المنفذ غالباً بخامات خطية أحادية اللون مثل قلم الرصاص، الفحم، أو الحبر. ويهدف بالأساس لتوثيق فكرة طارئة، أو دراسة تفصيلية لحركة وتشريح، وبعد بمثابة المخطط التوجيهي والمختبر المصغر للعمل الفني المكتمل. إجرائياً في هذا البحث، هو كافة التخطيطات التي تسبق التنفيذ اللوني وتهدف لحل معضلة بصرية. التفكير الإبداعي: هو نشاط عقلي مركب وهاذف توجهه رغبة قوية في البحث عن حلول جديدة ومبتكرة للمشكلات البصرية التي تواجه الفنان. ويتسم هذا النمط من التفكير بثلاثة خصائص رئيسية: الطلاقة، المرونة، والأصالة. التكوين الفني: هو البناء الهيكلي للوحة، ويعني التنسيق المنطقي والمدرّوس للخطوط والمساحات والظلال والكتل داخل فضاء العمل الفني، وفق أسس وقواعد بصرية تهدف في النهاية إلى تحقيق الانسجام والترابط الوثيق. الفن التشكيلي الواقعي: هو الاتجاه الفني الذي يعتمد على النقل الأمين والموضوعي للأشياء كما تبدو في الطبيعة والعالم المرئي، مع الالتزام التام بقوانين المنظور، والنسب التشريحية، وسقوط الضوء والظل.

الفصل الثاني: الإطار النظري والدراسات السابقة

المبحث الأول: سيكولوجية الإدراك البصري والرسم التحضيري لفهم فاعلية الرسم التحضيري، يجب الانطلاق من نظريات الإدراك البصري، وتحديداً نظرية الجشطالت التي تؤكد أن الإدراك البشري يميل دائماً إلى رؤية الكليات قبل الأجزاء. في سياق الفن التشكيلي الواقعي، يشير أرنهام (2004) إلى أن عين الفنان لا تلتقط التفاصيل العشوائية، بل تبحث عن الهيكل التنظيمي للأشكال. هنا يتدخل الرسم التحضيري (الاسكتش) كأداة ترجمة فورية لهذا الإدراك الكلي. عندما يقوم الفنان

بتخطيط لوحته بخطوط سريعة ومختزلة، فهو في الواقع يقوم بتجريد الأشكال الواقعية من تفاصيلها السطحية المعقدة ليركز حصراً على الجوهر البنوي وعلاقات الكتل في الفراغ. هذا التجريد التمهيدي يحمي الفنان من الغرق في التفاصيل المبكرة التي غالباً ما تؤدي إلى تشوه التكوين العام للوحة. إن الاسكتش يعمل كمختبر بصري يتيح للفنان تطبيق مبدأ الإغلاق الجشطالتي، حيث يكمل العقل الخطوط الناقصة ويختير توازن اللوحة قبل أن يلتزم بوضع الألوان الزيتية.

المبحث الثاني: التفكير الإبداعي وحل المشكلات التكوينية يتفق علماء النفس المعرفي على أن التفكير الإبداعي يتكون من مهارات أساسية: الطلاقة، المرونة، والأصالة. والرسم التحضيري يجسد هذه المهارات تطبيقياً في محترف الفنان: الطلاقة التشكيلية: يتيح الاسكتش للفنان توليد أكبر عدد ممكن من البدائل والحلول لنفس الموضوع في وقت قصير مما يوسع من قاعدة خياراته التكوينية. المرونة البصرية: تتجلى في قدرة الفنان على التخلي عن فكرة تكوينية تبدو غير متزنة والانتقال بسلاسة إلى فكرة أخرى دون خسائر مادية. الأصالة والفراة: من خلال التدوين البصري المستمر، يتجاوز الفنان مرحلة النقل المباشر للمألوف، ويبدأ في استنباط زوايا وتكوينات غير تقليدية، مما يمنح العمل الواقعي طابعاً شخصياً عميقاً.

المبحث الثالث: البعد الوجداني والانفعالي لدفتر الاسكتش دفتر الرسم التحضيري ليس مجرد كراسة للتدريب العضلي لليد، بل هو يوميات بصرية توثق الحالة الوجدانية للفنان. يؤكد جون ديوي (1934، ص 54) أن الفن ينبع من التفاعل الحي بين الكائن الحي وبيئته. عندما يخرج الفنان لتدوين مشاهد من الحياة اليومية، فهو يشحن ذاكرته البصرية بطاقة وجدانية هائلة. الخط السريع العفوي في الاسكتش يحمل شحنة انفعالية لا يمكن افتعالها في الرسم الهادئ. ويؤكد هيربرت ريد (1968، ص 76) أن خطوط الرسام التمهيدية تفصح عن طبيعة نشاطه النفسي والمعرفي.

المبحث الرابع: التطور التاريخي للرسم التحضيري وانعكاساته الإدراكية لم يتبلور مفهوم الرسم التحضيري كأداة تفكير مستقلة إلا مع بدايات عصر النهضة المبكر، حين انتقل الفنان من دور الحرفي المنفذ إلى دور المفكر والمستكشف. في العصور الوسطى، كانت الممارسة التشكيلية تعتمد بالأساس على الكتيبات النمطية التي ينسخ منها الفنان الأشكال الجاهزة دون تجريب حقيقي. ولكن مع صعود النزعة الإنسانية والاهتمام بالتشريح وعلم المنظور، أصبح الاسكتش ضرورة حتمية لترجمة هذه العلوم البصرية المكتشفة حديثاً. يعد ليوناردو دا فينشي من أوائل من أسسوا لما يُعرف بالتفكير على الورق. دفاتر دا فينشي لم تكن مجرد مسودات للوحات، بل كانت مختبرات بصرية تضج بالتساؤلات حول ديناميكا الحركة، وسقوط الضوء، والتشريح العضلي.

المبحث الخامس: المقاربة السيكلوجية ونظرية العبء المعرفي من منظور علم النفس الإدراكي، تمثل عملية بناء اللوحة الواقعية مهمة شديدة التعقيد تفرض ما يُعرف بالعبء المعرفي على الذاكرة العاملة للفنان. الفنان الواقعي مطالب في اللحظة ذاتها بضبط النسب التشريحية الدقيقة، مراعاة المنظور الخطي، حساب درجات تلاشي الألوان، وتوزيع الإضاءة. قدرة العقل البشري على معالجة كل هذه المتغيرات دفعة واحدة هي قدرة محدودة. وهنا يبرز الدور السيكلوجي العميق للرسم التحضيري؛ فهو يعمل كذاكرة خارجية مؤقتة تفرغ العبء المعرفي عن دماغ المبدع، مما يمكن الفنان من معالجة كل متغير على حدة بتركيز عالٍ ومستقل.

المبحث السادس: فلسفة اللامكتمل والتأزر الحركي البصري تتجاوز وظيفة الرسم التحضيري حدود كونه مجرد وسيلة بلوغ لغاية أخرى، لتؤسس لنفسها كياناً جمالياً مستقلاً يُعرف في الفلسفة النقدية بجماليات اللامكتمل. يمثل الاسكتش مساحة مفتوحة من الحوار البصري؛ فالخطوط المترددة والمحو تكشف بوضوح عن الآلية الإدراكية للعقل البشري. بالإضافة إلى ذلك، فإن الممارسة المتكررة للرسم التحضيري السريع تعزز التأزر الحركي البصري. من خلال المواظبة على رسم الاسكتشات الخاطفة، يقوم الفنان بتدريب المسارات العصبية على نقل البيانات البصرية من القشرة الدماغية إلى العضلات الدقيقة لليد بسرعة فائقة، مما يولد حالة من الأوتوماتيكية المعرفية تضمن انسيابية العمل النهائي.

الدراسات السابقة:

1. دراسة عبد الله السيد (2010): التجريب وديمقراطية التشكيل، جامعة دمشق. هدفت الدراسة إلى بيان أهمية التجريب كقيمة فنية معاصرة. وركزت على أن التخطيط التمهيدي هو شكل من أشكال الديمقراطية البصرية.
2. دراسة الأزهر بدر ريشان (2015): التجريب التقني في الفن المعاصر. أثبتت أن الفنانين الذين يعددون من خامات الرسم التحضيري يمتلكون قدرة أكبر على حل مشكلات اللوحة الزيتية لاحقاً.
3. دراسة غولدشتاين (2009): فن الرسم الاستقصائي المعاصر. أثبتت إحصائياً أن المجموعة التجريبية التي ألزمت بتقديم 50 اسكتشاً تحضيرياً قبل مشروع التخرج حققت تفوقاً بنسبة 40 بالمائة في معايير الاتزان التكويني.
4. دراسة أحمد محمد صالح (2018): استراتيجيات التفكير البصري وتطبيقاتها في التصوير الزيتي المعاصر، جامعة حلوان. أظهرت النتائج أن الطلاب الذين اعتمدوا على التخطيط الورقي المكثف أظهروا قدرة أعلى بنسبة خمسة وخمسين بالمائة في معالجة الاتزان الديناميكي.

5. دراسة ديفيد كوير (2020): دور الرسم التمهيدي في حل المشكلات البنائية المعقدة في الفن الكلاسيكي. أثبتت أن استخدام الرسم الخطي السريع يقلل من احتمالية الفشل الإنشائي بنسبة تفوق الستين بالمائة.
6. دراسة إيلينا مورغان (2021): المرونة المعرفية وأثرها في الممارسة التشكيلية الميدانية. توصلت إلى أن ممارسة الرسم التحضيري اليومي تلعب دوراً محورياً في كسر حاجز الخوف من القماش الأبيض وتوليد حلول أصيلة. تعقيب الباحث على الدراسات السابقة: يلاحظ الباحث اتفاقاً جلياً بين الباحثين على الدور المحوري للاسكتش كأداة للتدخل المبكر لحل المشكلات البصرية وتخفيف العبء المعرفي. وتتكمال هذه الدراسات مع الطرح الحالي، غير أن الإضافة في هذا البحث تكمن في التطبيق التحليلي المباشر لهذه النظريات السيكلوجية على عينات متحفية محددة لكبار الأساتذة.

الفصل الثالث: الأبعاد التقنية لخامات الرسم التحضيري وأثرها في توجيه التكوين الواقعي إن فاعلية الرسم التحضيري لا ترتبط فقط بالنشاط العقلي، بل ترتفع ارتباطاً وثيقاً بالطبيعة الفيزيائية للخامة المستخدمة في التخطيط.

1. الفحم النباتي وتأسيس الكتل الفراغية: يعد الأداة الأبرز في التخطيط الأولي. نظراً لهشاشته وسهولة مسحه، فإنه يمنح الفنان مرونة هائلة في التعديل السريع ويوجهه نحو التفكير بالكتلة والمساحة الظلية بدلاً من الخط المحيطي.
2. قلم الرصاص والجرافيت والضبط الهندسي: يمثل الأداة الهندسية الصارمة، ويستخدم في حل المشكلات التكوينية الدقيقة التي تتطلب صرامة رياضية، مثل رسم المنظور المعماري المعقد.
3. الحبر واليقين التكويني: على النقيض من الفحم، يفرض الحبر مستوى عالياً من الحسم واليقين، حيث يضطر الفنان إلى حساب مسار الخط ذهنياً وتخيل موقعه الدقيق قبل التنفيذ.
4. الطباشير الملون والأرضيات الداكنة: استخدم فنانو عصر النهضة تقنية الرسم بالطباشير الأبيض والأسود على ورق داكن كتدريب متقدم لحل مشكلات النحت بالضوء وفهم طبوغرافية الأسطح.

الفصل الرابع: الدراسة التحليلية لعينات البحث

مقدمة الفصل التحليلي يعتمد هذا الفصل على المنهج الوصفي التحليلي لتفكيك الآليات الإدراكية والحلول التكوينية التي ابتكرها رواد الفن التشكيلي عبر التاريخ من خلال رسومهم التحضيرية، لإثبات أن الاسكتش ضرورة حتمية لحل المشكلات الإنشائية المعقدة.

العينة الأولى: مايكل أنجلو ودراسة العرافة الليبية 1511 م الخامة والتقنية: الطباشير الأحمر على الورق. المشكلة التكوينية: تحدي تشريحي يتمثل في رسم جسد بشري في حالة التواء حلزوني حاد، وتحدي منظوري لضبط نسب الشكل من منظور سفلي بعيد. آلية الحل: ركز مايكل أنجلو على حل مشكلة نقطة الارتكاز عبر رسم دراسة منفصلة لإصبع القدم الكبير الذي يتحمل الثقل. الرسم التحضيري كان بمثابة أشعة سينية لبناء الهيكل العظمي والعضلي بشكل صحيح رياضياً.

العينة الثانية: جان أنطوان واتو ودراسات الرؤوس والأيدي مطلع القرن الثامن عشر الخامة والتقنية: تقنيّة الطباشير الثلاثي الأسود، والأحمر، والأبيض على ورق ملون. المشكلة التكوينية: كيفية تجسيد نعومة البشرة والانفعالات النفسية الدقيقة دون الخطوط القاسية. آلية الحل: من خلال تقنيّة الطباشير الثلاثي، تمكن واتو من حل مشكلات درجة حرارة اللون وتدرج الإضاءة قبل استخدام الزيت، مما منحه قدرة مذهلة على دراسة التشريح التعبيري للأيدي وتدويرات الوجه.

العينة الثالثة: إدغار ديغا وحركة راقصات الباليه أواخر القرن التاسع عشر الخامة والتقنية: الفحم، الباستيل، والطباشير على الورق. المشكلة التكوينية: تجميد الحركة السريعة لراقصات الباليه في الفراغ وبناء تكوين غير متمائل. آلية الحل: شكلت الاسكتشات مختبراً لاختبار زوايا الرؤية المبتكرة وحل مشكلة التوازن الفراغي. الخطوط المتكررة والممحوة حول الأذرع والأقدام دليل على تعديل الزوايا بحثاً عن الخط الأكثر تعبيراً عن التوتر الحركي.

العينة الرابعة: إيليا ريبين وتطور تكوين لوحة عمال مراكب الفولغا 1870 1873 م الخامة والتقنية: قلم الرصاص، والفحم، والزيت المخفف على الورق. المشكلة التكوينية: تجنب الرتابة في حركة العمال المتوازية وإبراز السيكلوجية الفردية لكل عامل. آلية الحل: قام ريبين بتغيير خط سير العمال من المحور الأفقي إلى المحور القطري المائل لإضافة عمق منظوري ودراما حركية، وأنجز دراسات وجهية لكل شخصية لضبط التعبير النفسي قبل تجميعهم في اللوحة النهائية.

العينة الخامسة: ليوناردو دا فينشي ودراسات عشق المجوس 1481 م الخامة والتقنية: قلم الحبر البني والحبر المغسول مع المسطرة. المشكلة التكوينية: تنظيم حشد ضخم من الأشخاص والخيول في تكوين معقد دون فقدان المركز البصري. آلية الحل: رسم ليوناردو شبكة منظور خطي دقيقة متجهة نحو نقطة تلاشي مركزية، وصاغ الأبعاد الرياضية للفراغ لتكون الحاضنة الدرامية، مما أثبت أن الاسكتش حل جذري للفوضى البصرية.

العينة السادسة: جون سينغر سارغنت ودراسات البورتريه بالفحم أواخر القرن التاسع عشر الخامة والتقنية: الفحم النباتي الممسوح على ورق خشن. المشكلة التكوينية: تجنب الجمود الفوتوغرافي للوجوه وإبراز الحالة النفسية للنبلاء بعفوية. آلية الحل: استخدم الفحم لاختزال القيم الضوئية بمسح مساحات الظل العريضة واستخراج الضوء بالمحاة. هذا التدريب مكنه من تحديد التسلسل الهرمي البصري في اللوحة بدقة قبل لمس الألوان الزيتية.

الفصل الخامس: النتائج والتوصيات والمقترحات

أولاً: نتائج البحث

1. يعد الرسم التحضيري نظاماً إدراكياً فاعلاً ومحرراً أساسياً يدعم الفنان التشكيلي في تجاوز النقل الحرفي والآلي للطبيعة، للوصول إلى حلول تكوينية تتسم بالتوازن والإيقاع.
2. يسهم الاسكتش بفاعلية قصوى في تقليل الأخطاء التشريحية والمنظرية وتوزيع الظلال، عبر منح الفنان مساحة زمنية للتقويم الذاتي والتعديل المبكر.
3. التخطيط التمهيدي يعزز مهارات التفكير الابتكاري وتوليد الأفكار بطلاقة ومرونة وأصالة، كما يشكل رافداً وجدانياً يربط الفنان بانفعالاته.
4. أثبتت الدراسات التحليلية لأعمال الرواد الستة أن اللوحة الناجحة إنشائياً وجمالياً هي النتيجة الحتمية لمئات الاسكتشات التي تعالج مشكلات التكوين.
5. الرسم التحضيري يمثل وثيقة بصرية تاريخية مستقلة تعكس مراحل تطور الفكرة لدى المبدع.

ثانياً: التوصيات

1. ضرورة إفرا د مساق دراسي منهجي مستقل ومكثف لمادة الرسم التحضيري ودفاتر الاسكتش ضمن المناهج الأكاديمية لمعاهد وكليات الفنون التشكيلية.
2. إلزام الطلاب والباحثين بتقديم ملف متكامل للأعمال التحضيرية والمسودات الفكرية كشرط أكاديمي متزامن مع تقييم مشاريع التخرج.
3. دعوة المؤسسات الأكاديمية لعقد معارض تخصصية تحثفي بدراسات الاسكتشات التحضيرية كعمل فني مكتمل بحد ذاته.
4. توجيه الباحثين إلى عدم التسرع في التنفيذ النهائي قبل استيفاء مراحل التجريب الفكري وحل المشكلات البنائية على الورق.

ثالثاً: المقترحات

1. إجراء دراسة علمية متخصصة حول فاعلية الاسكتش الرقمي باستخدام التقنيات الحديثة في تنمية مهارات التكوين البصري لدى طلاب كليات الفنون.
2. إجراء دراسة تحليلية للخصائص التعبيرية والخطية للرسم التحضيري في تجارب جيل الرواد في الفن التشكيلي الليبي كجزء من توثيق الذاكرة التشكيلية الوطنية.
3. بحث دور الاسكتشات المعمارية السريعة في توثيق التراث البصري للمدن القديمة وحل مشكلات المنظور الفراغي.

قائمة المراجع والمصادر

المراجع باللغة العربية:

1. أرناهم، رودولف. (2004). الفن والإدراك البصري: سيكولوجية عين ترى (ترجمة شاكر عبد الحميد). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
2. ديوي، جون. (1963). الفن كخبرة (ترجمة زكريا إبراهيم). القاهرة: دار النهضة العربية.
3. ريد، هيربرت. (1986). معنى الفن (ترجمة سامي خشبة). بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.
4. شاكر عبد الحميد. (2005). عصر الصورة: السلبيات والإيجابيات. الكويت: عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
5. السيد، عبد الله. (2010). التجريب وديمقراطية التشكيل. دمشق: منشورات جامعة دمشق، كلية الفنون الجميلة.
6. فيشر، إرنست. (1987). ضرورة الفن (ترجمة أسعد حليم). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
7. لانوفسكي، جوليان. (1998). التكوين في الفنون البصرية (ترجمة فؤاد كامل). القاهرة: دار الشروق.

8. معجم المعاني الجامع. مادة شكل، تكوين، خط، استلهم.
9. عرابي، عبد الرحمن حسن عواض. (2017). الحصان في مجال النحت عبر العصور. مصر: كلية التربية النوعية، جامعة جنوب الوادي.

المراجع باللغة الأجنبية:

1. Arnheim, R. (2004). Art and Visual Perception: A Psychology of the Creative Eye. Berkeley: University of California Press.
2. Dewey, J. (1934). Art as Experience. New York: Minton, Balch & Company.
3. Edwards, B. (2012). Drawing on the Right Side of the Brain. New York: Tarcher Perigee.
4. Goldstein, N. (2009). The Art of Responsive Drawing (6th ed.). Upper Saddle River, NJ: Pearson Prentice Hall.
5. Gombrich, E. H. (1995). The Story of Art (16th ed.). London: Phaidon Press.
6. Read, H. (1968). The Meaning of Art. London: Faber & Faber.
7. Smith, R. (2011). The Artist's Handbook of Materials and Techniques. New York: Viking.